

تفسير أبي السعود

. - 1411

تهتدون أى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم أو بالتفكر فيها بالتوحيد الذى هو المقصد
الأصلى والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
فأنشرنا به أى أحيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرء
ميتا بالتشديد وتذكيره لأن البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لإظهار
كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره كذلك أى مثل ذلك الإحياء الذى هو في
الحقيقة إخراج النبات من الأرض تخرجون أى تبعثون من قبوركم أحياء وفي التعبير عن إخراج
النبات بالإشعار الذى هو إحياء الموتى وعن إحيائها بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين
لأمر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذى خلق الأزواج كلها أى أصناف
المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الآزواج الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض
والأسود والذكور والأنثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فزوج كالفوق والتحت واليمين واليسار
الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركيبون أى ما تركيبونه تغليبا للأنعام على
الفلك فإن الركوب متعدد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في الرمز الى مكانتها
وكون حركتها غير إرادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا
على ظهوره أى لتستعلوا على ظهور ما تركيبونه من الفلك والأنعام والجمع باعتبار المعنى ثم
تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه أى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم
تحمدوا عليها بألسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن
النبي A أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد
على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما
كنا له مقرنين أى مطيقين من أقرن الشئ إذا أطاقه وأصله وجده قرينته لأن الصعب لا يكون
قرينه للضعيف وقرء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر معتمه تعالى إذ بدون
اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وإنما الى
ربنا لمنقلبون أى راجعون وفيه إيذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلبسه من المسير
ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هي الانقلاب الى الله تعالى فيبنى أموره في مسيره ذلك على
تلك الملاحظة ولا بخطر بياله في شئ